

الداء والدواء

اللقاء العاشر

﴿فَصَلِّ الْمَعْصِيَةَ تُضْعِفُ إِرَادَةَ الْخَيْرِ﴾

﴿٣١﴾ وَمِنْهَا: - وَهُوَ مِنْ أَحْوَفِهَا عَلَى الْعَبْدِ - أَمَّا تُضْعِفُ الْقَلْبَ عَنْ إِرَادَتِهِ، فَتُقْوِي إِرَادَةَ الْمَعْصِيَةِ، وَتُضْعِفُ إِرَادَةَ التَّوْبَةِ شَيْئًا فَشَيْئًا، إِلَى أَنْ تَنْسَلِخَ مِنْ قَلْبِهِ إِرَادَةُ التَّوْبَةِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَوْ مَاتَ نِصْفُهُ لَمَا تَابَ إِلَى اللَّهِ، فَيَأْتِي بِالِاسْتِعْفَارِ وَتَوْبَةِ الْكَذَّابِينَ بِاللِّسَانِ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، وَقَلْبُهُ مَعْفُودٌ بِالْمَعْصِيَةِ، مُصِرٌّ عَلَيْهَا، عَازِمٌ عَلَى مُوَاقَعَتِهَا مَتَى أَمَكَنَهُ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَمْرَاضِ وَأَقْرَبِهَا إِلَى الْهَلَاكِ.

قال النبي ﷺ: " ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَنْ جَنْبَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مَفْتُحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعِنْدَ رَأْسِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: اسْتَقِيمُوا عَلَى الصِّرَاطِ وَلَا تَعْوَجُوا؛ وَفَوْقَ ذَلِكَ دَاعٍ يَدْعُو كُلَّمَا هَمَّ عَبْدٌ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ؛ قَالَ: وَيْلَكَ! لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُئُ، ثُمَّ فَسَّرَهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الصِّرَاطَ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَأَنَّ الْأَبْوَابَ الْمَفْتُحَةَ مُحَارِمُ اللَّهِ، وَأَنَّ السُّتُورَ الْمُرْخَاةَ حُدُودُ اللَّهِ، وَالِدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ هُوَ الْقُرْآنُ، وَالِدَّاعِي مِنْ فَوْقِهِ هُوَ وَعَظُّ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ". أخرج الترمذي قال النبي ﷺ: "إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لِمَةً بَابِنِ آدَمَ وَلِلْمَلِكِ لِمَةً فَأَمَّا لِمَةُ الشَّيْطَانِ فإِيعَادُ الْبَالِشَرِّ وَتَكْذِيبُ الْحَقِّ وَأَمَّا لِمَةُ الْمَلِكِ فإِيعَادُ الْبَالِخَيْرِ وَتَصْدِيقُ الْحَقِّ... " صحيح الترمذي

﴿فَصَلِّ إِنْهُ الْمَعْصِيَةَ﴾

﴿٣٢﴾ وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَنْسَلِخُ مِنَ الْقَلْبِ اسْتِغْبَاحُهَا، فَتَصِيرُ لَهُ عَادَةٌ، فَلَا يَسْتَفِيحُ مِنْ نَفْسِهِ رُؤْيَا النَّاسِ لَهُ، وَلَا كَلَامَهُمْ فِيهِ.

﴿٣٣﴾ وَهَذَا عِنْدَ أَرْبَابِ الْفُسُوقِ هُوَ غَايَةُ التَّهْتِكِ وَتَمَامُ اللَّذَّةِ، حَتَّى يَفْتَحِرَ أَحَدُهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيُحَدِّثَ بِهَا مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ عَمِلَهَا، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا.

﴿٣٤﴾ وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ لَا يُعَافُونَ، وَتُسَدُّ عَلَيْهِمْ طَرِيقُ التَّوْبَةِ، وَتُعَلِّقُ عَنْهُمْ أَبْوَابُهَا فِي الْعَالِبِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرُونَ، وَإِنَّ مِنَ الْإِجْهَارِ أَنْ يَسْتُرَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ ثُمَّ يُصْبِحُ يَفْضَحُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا، فَهَتَكَ نَفْسَهُ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ».

﴿الْمَعَاصِي مَوَارِيثُ﴾

﴿٣٥﴾ وَمِنْهَا أَنَّ كُلَّ مَعْصِيَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي فِيهِ مِيرَاثٌ عَنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّةِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

○ فَاللُّوْطِيَّةُ: مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ.

○ وَأَخَذُ الْحَقِّ بِالزَّائِدِ وَدَفَعُهُ بِالنَّاقِصِ، مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ شَعِيبٍ.

○ وَالْعُلُوُّ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ.

○ وَالتَّكْبُرُ وَالتَّجَبُّرُ مِيرَاثٌ عَنِ قَوْمِ هُودٍ.

◀ فَالْعَاصِي لَأَبْسُ ثِيَابٍ بَعْضُ هَذِهِ الْأُمَّمِ، وَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ.

☞ وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِأَبِيهِ عَنِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ قُلْ لِقَوْمِكَ: لَا يَدْخُلُوا مَدَاخِلَ أَعْدَائِي، وَلَا يَلْبَسُوا مَلَابِسَ أَعْدَائِي وَلَا يَرْكَبُوا مَرَكَبَ أَعْدَائِي، وَلَا يَطْعَمُوا مَطَاعِمَ أَعْدَائِي، فَيَكُونُوا أَعْدَائِي كَمَا هُمْ أَعْدَائِي.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

☞ [فَصْلٌ هَوَانُ الْعَاصِي عَلَى رَبِّهِ]

☞ وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ سَبَبٌ لِهَوَانِ الْعَبْدِ عَلَى رَبِّهِ وَسُقُوطِهِ مِنْ عَيْنِهِ.

☞ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ، وَلَوْ عَزُّوا عَلَيْهِ لَعَصَمَهُمْ، وَإِذَا هَانَ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ لَمْ يُكْرِمَهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ } [سُورَةُ الْحَجِّ: ١٨] وَإِنْ عَظَّمَهُمُ النَّاسُ فِي الظَّاهِرِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمْ أَوْ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِمْ، فَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ أَحَقَرُ شَيْءٍ وَأَهْوَنُهُ.

☞ [هَوَانُ الْمَعَاصِي عَلَى الْمُصِيرِينَ]

☞ وَمِنْهَا: أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ يَزْتَكِبُ الذَّنْبَ حَتَّى يَهُونَ عَلَيْهِ وَيَصْغُرَ فِي قَلْبِهِ، وَذَلِكَ عَلَامَةٌ الْهَلَاكِ، فَإِنَّ الذَّنْبَ كُلَّمَا صَغُرَ فِي عَيْنِ الْعَبْدِ عَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ.

☞ وَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ.

☞ [فَصْلٌ شُؤْمُ الذُّنُوبِ]

☞ وَمِنْهَا: أَنَّ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ وَالذُّوَابِ يَعُودُ عَلَيْهِ شُؤْمُ ذَنْبِهِ، فَيَحْتَرِقُ هُوَ وَغَيْرُهُ بِشُؤْمِ الذُّنُوبِ وَالظُّلْمِ.

☞ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ الْجَبَّارِي لَتَمُوتَ فِي وَكْرِهَا مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ.

☞ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّ الْبَهَائِمَ تَلْعَنُ عُصَاةَ بَنِي آدَمَ إِذَا اشْتَدَّتِ السَّنَةُ، وَأُمْسِكَ الْمَطَرُ، وَتَقُولُ: هَذَا بِشُؤْمِ مَعْصِيَةِ ابْنِ آدَمَ.

☞ وَقَالَ عِكْرِمَةُ: دَوَابُّ الْأَرْضِ وَهَوَامُّهَا حَتَّى الْخَنَافِسُ وَالْعُقَارِبُ، يَقُولُونَ: مُبْعِنَا الْقَطْرَ بِذُنُوبِ بَنِي آدَمَ.

☞ فَلَا يَكْفِيهِ عِقَابُ ذَنْبِهِ، حَتَّى يَلْعَنَهُ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ.

☞ وَكَمَا أَنَّ الْمَعَاصِي شُؤْمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَالطَّاعَاتُ رَحْمَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: " وَإِنَّ الْعَالَمَ

لِيَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيْتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ " صحیح أبي داود

قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتُهُ، وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى

الْحَوْتِ، لِيَصَلُّوا عَلَى مَعْلَمِ النَّاسِ الْخَيْرِ " صحیح الجامع

"أَتَيْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ: يَا قَبِيصَةُ مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، فَأَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ. فَقَالَ: يَا قَبِيصَةُ، مَا مَرَرْتَ بِحَجْرٍ وَلَا شَجَرٍ وَلَا مَدْرٍ إِلَّا اسْتَغْفَرَ لَكَ...".
الترغيب والترهيب

﴿فَصَلِّ الْمَعْصِيَةَ تُورِثُ الذُّلَّ﴾

﴿٣﴾ وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تُورِثُ الذُّلَّ وَلَا بُدَّ؛ فَإِنَّ الْعِرَّ كُلَّ الْعِرِّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٠] أَي فَلَیَطْلُبْهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُهَا إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ. ﴿٤﴾ وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ: اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنِي بِمَعْصِيَتِكَ. ﴿٥﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِهْمَمْ وَإِنْ طَقَطَقْتَ بِهِمُ الْبِعَالُ، وَهَمَلَجْتَ بِهِمُ الْبِرَازِئِينَ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ فُلُوبَهُمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَا هُيَا
وَتَرَكَ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَابُ سُوءِ وَرُهْبَانُهَا

﴿فَصَلِّ الْمَعَاصِي تُفْسِدُ الْعَقْلَ﴾

﴿٣﴾ وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعَاصِي تُفْسِدُ الْعَقْلَ، فَإِنَّ لِلْعَقْلِ نُورًا، وَالْمَعْصِيَةَ تُطْفِئُ نُورَ الْعَقْلِ وَلَا بُدَّ، وَإِذَا طَفِئَ نُورُهُ ضَعُفَ وَنَقَصَ.

﴿٤﴾ وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا عَصَى اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَغِيبَ عَقْلُهُ، وَهَذَا ظَاهِرٌ، فَإِنَّهُ لَوْ حَضَرَ عَقْلُهُ لَحَجَرَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَهُوَ فِي فَبْضَةِ الرَّبِّ تَعَالَى، أَوْ تَحْتَ قَهْرِهِ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَفِي دَارِهِ عَلَى بَسَاطِهِ وَمَلَائِكَتُهُ شُهُودٌ عَلَيْهِ نَاطِقُونَ إِلَيْهِ، وَوَاعِظُ الْقُرْآنِ يَنْهَاهُ، وَوَاعِظُ الْمَوْتِ يَنْهَاهُ، وَوَاعِظُ النَّارِ يَنْهَاهُ، وَالَّذِي يَفُوتُهُ بِالْمَعْصِيَةِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أضعافُ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ السُّرُورِ وَاللَّذَّةِ بِهَا، فَهَلْ يُقَدِّمُ عَلَى الْإِسْتِهَانَةِ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَالْإِسْتِخْفَافِ بِهِ دُو عَقْلٍ سَلِيمٍ؟

﴿فَصَلِّ الذُّنُوبَ تَطْبَعُ عَلَى الْقُلُوبِ﴾

﴿٣﴾ وَمِنْهَا: أَنَّ الذُّنُوبَ إِذَا تَكَاثَرَتْ طَبَعُ عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهَا، فَكَانَ مِنَ الْغَافِلِينَ. ﴿٤﴾ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ زَانَ عَلَى فُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: ١٤]، قَالَ: هُوَ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ.

﴿٥﴾ وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يُعْمِيَ الْقَلْبَ.

﴿٦﴾ وَقَالَ غَيْرُهُ: لَمَّا كَثُرَتْ ذُنُوبُهُمْ وَمَعَاصِيهِمْ أَحَاطَتْ بِفُلُوبِهِمْ.

﴿٣٤﴾ وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا زَادَتْ غَلَبَ الصَّدَأُ حَتَّى يَصِيرَ رَانًا، ثُمَّ يَغْلِبُ حَتَّى يَصِيرَ طَبَعًا وَقَفْلًا وَخَنَمًا، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ فِي غَشَاوَةٍ وَغِلَافٍ، فَإِذَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ بَعْدَ الْهُدَى وَالْبَصِيرَةِ انْعَكَسَ فَصَارَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، فَحِينَئِذٍ يَتَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ وَيَسُوْقُهُ حَيْثُ أَرَادَ.

﴿٣٥﴾ [فصل الذُّنُوبِ تُدْخِلُ الْعَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -]

﴿٣٥﴾ وَمِنْهَا: أَنَّ الذُّنُوبَ تُدْخِلُ الْعَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنَّهُ لَعَنَ عَلَى مَعَاصِيِ وَالَّتِي غَيْرِهَا أَكْبَرُ مِنْهَا، فَهِيَ أَوْلَى بِدُخُولِ فَاعِلِهَا تَحْتَ اللَّعْنَةِ.

﴿٣٦﴾ فَالْعَنُ الْوَأْشِمَةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ، وَالْوَأْشِمَةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ، وَالْوَأْشِرَةُ وَالْمُسْتَوْشِرَةُ.

○ الْوَأْشِمَةُ" وهي التي تَعْمَلُ الْوَشْمَ لغيرِهَا، وَالْوَشْمُ: رَسْمٌ عَلَى الْجِلْدِ بَأَن يُعْرَزَ الْجِلْدُ بِإِثْرَةٍ ثُمَّ يُحْسَى بِكُحْلِ أَوْ نَيْلَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَيَسْوَدُ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ، أَوْ يَبْرُقُ، أَوْ يَحْضُرُ، وَتَظْهَرُ فِيهِ أَشْكَالٌ وَأَلْوَانٌ مُخَالِفَةٌ لِلْوَنِ الْبَدَنِ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّجْمِيلِ، "وَالْمُسْتَوْشِمَةُ"، وهي المعمولُ لها الْوَشْمُ

○ "وَالْوَأْشِرَةُ" وَالْوَشْرُ: تَحْدِيدُ الْأَسْنَانِ وَتَرْقِيقُ أَطْرَافِهَا، حَتَّى تَبْدُو كَأَسْنَانِ صِغَارِ السِّنِّ، وَالْوَأْشِرَةُ هِيَ مَنْ تَقَوْمُ بِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ لغيرِهَا، "وَالْمُسْتَوْشِرَةُ" وهي المرأةُ التي تَطْلُبُ إِجْرَاءَ عَمَلِيَّةِ الْوَشْرِ لِنَفْسِهَا، قِيلَ: وَسَبَبُ النَّهْيِ عَنِ تِلْكَ الْأُمُورِ: هُوَ مَا فِيهَا مِنْ تَغْيِيرِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٣٧﴾ وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَهُ.

﴿٣٨﴾ وَلَعَنَ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ.

﴿٣٩﴾ وَلَعَنَ السَّارِقَ.

﴿٤٠﴾ وَلَعَنَ شَارِبَ الْخُمْرِ وَسَاقِيَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا، وَبَائِعَهَا وَمُشْتَرِيَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ.

﴿٤١﴾ وَلَعَنَ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ وَهِيَ أَعْلَامُهَا وَخُدُودُهَا.

﴿٤٢﴾ وَلَعَنَ مَنْ لَعَنَ وَالِدِيهِ.

﴿٤٣﴾ وَلَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ عَرَضًا يَرْمِيهِ بِسَهْمٍ.

﴿٤٤﴾ وَلَعَنَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.

﴿٤٥﴾ وَلَعَنَ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ.

﴿٤٦﴾ وَلَعَنَ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا.

﴿٤٧﴾ وَلَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ.

﴿٤٨﴾ وَلَعَنَ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ.

﴿٤٩﴾ وَلَعَنَ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ وَأُمَّهُ.

﴿٥٠﴾ وَلَعَنَ مَنْ كَمِهَ أَعْمَى عَنِ الطَّرِيقِ.

﴿٥١﴾ وَلَعَنَ مَنْ أَتَى بِهَيْمَةَ.

- ﴿١٤٠﴾ وَلَعْنُ مَنْ وَسَمَ دَابَّةً فِي وَجْهِهَا.
 - ﴿١٤١﴾ وَلَعْنُ مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا أَوْ مَكَرَ بِهِ.
 - ﴿١٤٢﴾ وَلَعْنُ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالشُّرُجَ.
 - ﴿١٤٣﴾ وَلَعْنُ مَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ مَمْلُوكًا عَلَى سَيِّدِهِ.
 - ﴿١٤٤﴾ وَلَعْنُ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا.
 - ﴿١٤٥﴾ وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ بَاتَتْ مُهَاجِرَةً لِفِرَاشِ زَوْجِهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ.
 - ﴿١٤٦﴾ وَلَعْنُ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ.
 - ﴿١٤٧﴾ وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ.
 - ﴿١٤٨﴾ وَلَعْنُ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ.
- ﴿١٤٩﴾ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ

- ﴿١٥٠﴾ وَقَدْ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ وَقَطَعَ رَحْمَهُ، وَأَذَاهُ وَأَذَى رَسُولِهِ - ﷺ -.
- ﴿١٥١﴾ وَلَعْنُ مَنْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَاهْتَدَى.
- ﴿١٥٢﴾ وَلَعْنُ الَّذِينَ يَزُومُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ بِالْفَاحِشَةِ.
- ﴿١٥٣﴾ وَلَعْنُ مَنْ جَعَلَ سَبِيلَ الْكَافِرِ أَهْدَى مِنْ سَبِيلِ الْمُسْلِمِ.
- ﴿١٥٤﴾ وَلَعْنُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الرَّجُلُ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ وَالْمَرْأَةُ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ.
- ﴿١٥٥﴾ وَلَعْنُ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي وَالرَّائِشِ، وَهُوَ: الْوَاسِطَةُ فِي الرِّشْوَةِ.
- ﴿١٥٦﴾ وَلَعْنُ عَلَى أَشْيَاءٍ أُخْرَى غَيْرِ هَذِهِ.
- ﴿١٥٧﴾ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِ ذَلِكَ إِلَّا رِضَاءُ فَاعِلِهِ بِأَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَلْعَنُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَلَائِكَتُهُ لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْعُو إِلَى تَرْكِهِ.

﴿١٥٨﴾ [فصل] حِرْمَانُ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- ﴿١٥٩﴾ وَمِنْهَا: حِرْمَانُ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - [وَأَسْتَعْفِرُ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ] وَدَعْوَةِ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْتَعْفِرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ - رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سُورَةُ غَافِرٍ: ٧ - ٩] .

- ﴿١٦٠﴾ فَهَذَا دُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ لِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الَّذِينَ لَا سَبِيلَ لَهُمْ غَيْرُهُمَا، فَلَا يَطْمَعُ غَيْرُ هَؤُلَاءِ بِإِجَابَةِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، إِذْ لَمْ يَتَّصِفْ بِصِفَاتِ الْمَدْعُوِّ لَهُ بِهَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

﴿فَصَلِّ مَا رَأَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عُقُوبَاتِ الْعَصَاةِ﴾

﴿٣﴾ وَمِنْ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدُبٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - مِمَّا يُكْبَرُ أَنْ يُقُولَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا؟ فَيَقْصُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَ، وَأَنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِهْمَا انْبَعَثَا لِي، وَإِهْمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَنْلَعُ رَأْسُهُ فَيَتَدَهَّدُهُ الْحَجْرُ هَاهُنَا فَيَقَعُ الْحَجْرُ، فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يُصْبِحَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدًا شَقِيٍّ وَجْهِهِ وَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْحَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرَعُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يُصْبِحَ ذَلِكَ الْجَانِبِ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا هَذَا؟ فَقَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ، وَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَانْطَلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ هَبٌّ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوءًا، فَقَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: فَقَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى هَرٍّ أَحْمَرٍ مِثْلِ الدَّمِ، فَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْبَحَ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْعَرُّ لَهُ فَاهُ فَيَلْقِمُهُ حَجْرًا، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فَيَفْعَرُّ لَهُ فَاهُ فَيَلْقِمُهُ حَجْرًا، قُلْتُ لهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْأَةِ، أَوْ كَأَكْرَهٍ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ رَجُلًا مَرَأَى، وَإِذَا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يُحْنُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نُوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَانِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوِيلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قَالَ: قُلْتُ: مَا هَذَا؟ وَمَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَى دَوْحَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَا أَحْسَنَ، قَالَ: قَالَا لِي: اِرْقَ فِيهَا، فَارْتَقِينَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَةٍ بِلَبَنِ ذَهَبٍ، وَلَبَنِ فِضَّةٍ، قَالَ: فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا، فَمُنِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ، شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ كَأَفْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ، قَالَ: قَالَا لهُمَّ: اذْهَبُوا فَفَعُّوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، قَالَ: وَإِذَا هَرٌّ مُعَرَّضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذْهَبُوا فَوَقُّعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجِعُوا إِلَيْنَا، قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةٌ عَدْنٍ وَهِيَ ذَاكَ مَنْزِلِكَ. قَالَ: فَسَمَا بَصْرِي صُغْدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذَا مَنْزِلِكَ، قُلْتُ لهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَدَرَانِي فَأَدْخُلُهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ. قُلْتُ لهُمَا: فَإِنِّي رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُحْبِرُكَ. أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُنْلَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ

الْمَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو إِلَى بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْأَفَاقَ. وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ، فَإِنَّهُمْ الرُّثَاءُ وَالزَّوَالِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبِخُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا. وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمُنْظَرِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْتُمُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ حَازِنٌ جَهَنَّمَ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ. وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ - وَفِي رِوَايَةِ الْبَرْقَانِيِّ: وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ - فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ. وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرًا مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرًا مِنْهُمْ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا نَجَّوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

﴿الدُّنُوبُ تُحْدِثُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾

﴿وَمِنْ آثَارِ الدُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي: أَهْمًا تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْمِيَاهِ وَالْهَوَاءِ، وَالزَّرْعِ، وَالنَّمَارِ، وَالْمَسَاكِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سُورَةُ الرُّومِ: ٤١].

﴿قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا وَلِيَ الظَّالِمُ سَعَى بِالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ فَيَحْبِسُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْقَطْرَ، فَيَهْلِكُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سُورَةُ الرُّومِ: ٤١]. ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِحَرْثِكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كُلُّ قَرِيَّةٍ عَلَى مَاءٍ جَارٍ فَهُوَ بِحَرْثٍ.

﴿وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ لَكُمْ: بِحَرْثِكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كُلُّ قَرِيَّةٍ عَلَى مَاءٍ.﴾
 ﴿وَقَالَ قَتَادَةُ: أَمَا الْبَرُّ فَأَهْلُ الْعُمُودِ، وَأَمَا الْبَحْرُ فَأَهْلُ الْفَرَى وَالرِّيفِ، قُلْتُ: وَقَدْ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى الْمَاءَ الْعَذْبَ بِحَرْثًا، فَقَالَ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٢].

﴿وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ بَحْرٌ خَلُوَ وَقِفٌ، وَإِنَّمَا هِيَ الْأَهْزَاؤُ الْجَارِيَةُ، وَالْبَحْرُ الْمَالِحُ هُوَ السَّاكِنُ، فَسَمَى الْفَرَى الَّتِي عَلَيْهَا الْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ بِاسْمِ تِلْكَ الْمِيَاهِ.

﴿وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قَالَ: الدُّنُوبُ. قُلْتُ: أَرَادَ أَنَّ الدُّنُوبَ سَبَبُ الْفَسَادِ الَّذِي ظَهَرَ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ الْفَسَادَ الَّذِي ظَهَرَ هُوَ الدُّنُوبُ نَفْسُهَا فَتَكُونُ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ لَامَ الْعَاقِبَةِ وَالتَّعْلِيلِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ فَالْمُرَادُ بِالْفَسَادِ: التَّفْصُ وَالشَّرُّ وَالْأَلَامُ الَّتِي يُحْدِثُهَا اللَّهُ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ مَعَاصِي الْعِبَادِ، فَكُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُمْ عُمُوبَةً، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُلَّمَا أَحْدَثْتُمْ ذَنْبًا أَحْدَثَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ سُلْطَانِهِ عُمُوبَةً.

﴿ وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْفَسَادَ الْمُرَادَ بِهِ الذُّنُوبَ وَمُوجِبَاتُهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ فَهَذَا حَالُنَا، وَإِنَّمَا أَذَقْنَا الشَّيْءَ الْبَاسِيفَ مِنْ أَعْمَالِنَا، وَلَوْ أَذَقْنَا كُلَّ أَعْمَالِنَا لَمَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ.﴾

﴿ الْمَعَاصِي سَبَبُ الْحُسْفِ وَالزَّلَازِلِ ﴾

﴿ وَمِنْ تَأْثِيرِ مَعَاصِي اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مَا يَحِلُّ بِهَا مِنَ الْحُسْفِ وَالزَّلَازِلِ، وَيَمَحَقُ بَرَكَتَهَا، وَقَدْ «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَلَى دِيَارِ تَمُودَ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ دُخُولِ دِيَارِهِمْ إِلَّا وَهُمْ بَاكُونَ، وَمِنْ شُرْبِ مِيَاهِهِمْ، وَمِنْ الْإِسْتِسْقَاءِ مِنْ آبَارِهِمْ، حَتَّى أَمَرَ أَنْ يُغْلَفَ الْعَجِينُ الَّذِي عُجِنَ بِمِيَاهِهِمْ لِلنَّوَاضِحِ (الإبل)، لِتَأْثِيرِ شُؤْمِ الْمَعْصِيَةِ فِي الْمَاءِ»، وَكَذَلِكَ شُؤْمُ تَأْثِيرِ الذُّنُوبِ فِي نَقْصِ الثَّمَارِ وَمَا تَرَى بِهِ مِنَ الْآفَاتِ.﴾

﴿ وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ فِي ضَمَنِ حَدِيثٍ قَالَ: وَجِدْتُ فِي خَزَائِنِ بَعْضِ بَنِي أُمَيَّةَ، حِنْطَةً، الْحَبَّةُ بِقَدْرِ نَوَاةِ التَّمْرَةِ، وَهِيَ فِي صُرَّةٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: كَانَ هَذَا يَنْبُثُ فِي زَمَنِ مِنَ الْعَدْلِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ أَحَدَتْهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا أَحَدَتْ الْعِبَادَ مِنَ الذُّنُوبِ.﴾

﴿ وَأَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُخِ الصَّخْرَاءِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْهَدُونَ الثَّمَارَ أَكْبَرَ بِمَا هِيَ الْآنَ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ الَّتِي تُصِيبُهَا لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهَا، وَإِنَّمَا حَدَّثَتْ مِنْ قُرْبٍ.﴾

﴿ تَأْثِيرُ الذُّنُوبِ فِي الصُّورِ ﴾

﴿ وَأَمَّا تَأْثِيرُ الذُّنُوبِ فِي الصُّورِ وَالخَلْقِ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنْهُ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ فِي السَّمَاءِ سِتُونَ ذِرَاعًا، وَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ.﴾

﴿ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنَ الظُّلْمَةِ وَالخَوْنَةِ وَالْفَجْرَةِ، يُخْرِجُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ - ﷺ - فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، وَيَقْتُلُ الْمَسِيحَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَيُقِيمُ الدِّينَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَخُرِجَ الْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا، وَتَعُودُ كَمَا كَانَتْ، حَتَّى إِنَّ الْعِصَابَةَ مِنَ النَّاسِ لَيَأْكُلُونَ الرُّمَانَ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيَكُونُ الْعَنْفُودُ مِنَ الْعَنْبِ وَقَرَّ بَعِيرٌ، وَلَبُنُ اللَّفْحَةِ الْوَاحِدَةَ لَتَكْفِي الْفِقَامَ مِنَ النَّاسِ، وَهَذِهِ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَمَّا طَهَّرَتْ مِنَ الْمَعَاصِي طَهَّرَتْ فِيهَا آثَارَ الْبَرَكََةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي مَحَقَّتْهَا الذُّنُوبُ وَالْكُفْرُ، وَلَا رَبَّ أَنْ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي الْأَرْضِ بَقِيَتْ آثَارُهَا سَارِيَةً فِي الْأَرْضِ تَطْلُبُ مَا يُشَاكِلُهَا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ آثَارُ تِلْكَ الْجَرَائِمِ الَّتِي عُذِّبَتْ بِهَا الْأُمَّمُ، فَهَذِهِ الْآثَارُ فِي الْأَرْضِ مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْعُقُوبَاتِ، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْمَعَاصِي مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْجَرَائِمِ، فَتَنَاسَبَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ الْكُوفِيُّ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَكَانَ الْعَظِيمُ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِلْعَظِيمِ مِنَ الْجِنَايَةِ، وَالْأَخْفُ لِلْأَخْفِ، وَهَكَذَا يَحْكُمُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي دَارِ الْبَرْخِ وَدَارِ الْجَزَاءِ.﴾

﴿ وَتَأْمَلْ مُقَارَنَةَ الشَّيْطَانِ وَمِحْلَهُ وَدَارَهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَارَنَ الْعَبْدَ وَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ نَزَعَتْ الْبَرَكََةُ مِنْ عُمُرِهِ، وَعَمَلِهِ، وَقَوْلِهِ، وَرِزْقِهِ، وَلَمَّا أَثَرَتْ طَاعَتُهُ فِي الْأَرْضِ مَا أَثَرَتْ، وَنَزَعَتْ الْبَرَكََةَ مِنْ كُلِّ مَحَلٍّ طَهَّرَتْ فِيهِ طَاعَتُهُ، وَكَذَلِكَ مَسْكُنُهُ لَمَّا كَانَ الْجَحِيمَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكََةِ.﴾